

أضواء البيان

@ 416 ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة : أن أول كلمة نطق لهم بها عيسى وهو صبي في مهده أنه عبد الله ، وفي ذلك أعظم زجر للنصارى عن دعواهم أنه الله ، أو ابنه أو إله معها وهذه الكلمة التي نطق بها عيسى في أول خطابه لهم ذكرها الله جل وعلا عنه في مواضع أخر . كقوله تعالى : { وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّكُمْ } وقوله في (آل عمران) : { إِنَّ اللَّهَ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ } ، وقوله في (الزخرف) { فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرًا مَّوَدَّكُمْ } وقوله هنا في سورة (مريم) : { وَاللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ } ، وقوله في سورة (مريم) : { وَاللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ } ، وقوله : { مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَّا أَمَرْتُكُمْ بِهِ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّكُمْ } . إلى غير ذلك من الآيات . .

وقوله في هذه الآية الكريمة : { ءَاتَانِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا } التحقيق فيه إن شاء الله : أنه عبر بالماضي عما سيقع في المستقبل تنزيلاً لتحقق الوقوع منزلة الوقوع . ونظائره في القرآن كثيرة . كقوله تعالى : { أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلْهُ } ، وقوله تعالى : { وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ فِي يَوْمٍ قِيَامٍ يَنْظُرُونَ وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِئَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ } وقوله تعالى : { وَسَيُقَالُ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ } . .

فهذه الأفعال الماضية المذكورة في الآيات بمعنى المستقبل . تنزيلاً لتحقق وقوعه منزلة الوقوع بالفعل ، ونظائرها كثيرة في القرآن . وهذا الذي ذكرنا من أن الأفعال الماضية في قوله تعالى : { ءَاتَانِي الْكِتَابَ } الخ بمعنى المستقبل هو الصواب إن شاء الله . خلافاً لمن زعم أنه نبيء وأوتي الكتاب في حال صباه لظاهر اللفظ . وقوله { وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا } أي كثير البركات . لأنه يعلم الخير ويدعو إلى الله ، ويبرء الأكمه والأبرص ويحيي الموتى بإذن الله . وقال الزمخشري في تفسير هذه الآية { مُبَارَكًا أَي يَنْ مَّا

كُنْتُ { : عن رسول الله صلى الله عليه وسلم نفاعاً حيث كنت . وقال ابن حجر في (الكافي الشاف) : أخرجه أبو نعيم (في الحلية) في ترجمة يونس بن عبيد عن الحسن عن أبي هريرة بهذا وأتم . وقال : تفرد به هشيم عن يونس ، وعنه شعيب بن محمد الكوفي ، ورواه ابن مردويه عن هذا الوجه . . .

وقوله في هذه الآية الكريمة { وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ } قال الحوفي وأبو البقاء : هو